الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أشوق الى المتاعب :

ما زلت أذكر مسرحية « حورية من الريف » التي قدمتها من نحو شهرين فرقة المسرح المصري الحديث ، تلك المسرحية التي تقوم فكرتها على أن الإنسان يضيق بما يجري حوله على هذه الأرض وما يحدث له من متاعب في حياته ويود لو خلص منها ، فإذا أتيح له الخلاص مما يقلقه ويشقيه ، إلى حياة ناعمة صافية لا يجد فيها من يشغب عليه ويما كسه ، ضاق بها وشقي بهذه « السعادة » التي تحرمه ما جبل عليه من حب الشغب والميل إلى خلط الصفو بالكدر

شاهدنا في المسرحية الزوج الذي يتبرم بزوجه لما تأتيه من تصرفات حمقاء وما يعانيه من شقاق بينهما الدائم ، ثم يرى فيما يرى النائم حوريات من الريف .. ولا بد أن تعجب من منافسة الريف للجنة ! ولا أحب أن أدعك في هذا العجب فأفسر لك السبب قبل أن تمضي في الحديث :

عرضت المسرحية — وكان اسمها « حورية من الجنة » — على الرقيب بوزارة الداخلية ليجيز تمثيلها ، فاستأنى حتى طالت لحيته . ولبس عمامة كبيرة . . ثم أفتى — نجانا الله من فقهه . آمين — بأن الحورية لا يجوز أن تهبط من الجنة إلى المسرح ولا حرج أن تهبط من الريف ، وإن لم توجد في الريف حوريات فيجوز أن تنتقل من الجنة أولا إلى الريف ، ثم تسافر منه إلى مسرح حديقة الأزبكية الصيفي .. فلم يسع الأستاذ زكي طليمات إلا أن يرضخ و« يخرج » الحورية من الريف كما يستخرج الشراب من الضريح . .

وأى ذلك الزوج ثلاث حوريات يرقصن ويغنين ، فأحب إحداهن وأحبته ، ورضيت أن تعيش معه على سطح الأرض زوجة وفية مخلصة ، وجرت الأمور بينهما كما تجري في . . . الريف ! فلا مخالفة ولا شقاق ، بل طاعة عمياء وصفو خالص ، ولكن يظهر أن في الإنسان غريزة لم يكشفها علماء النفس بعد ، هي غريزة المشاغبة التي تدفعه إلى الهرب من الاستقرار والراحة والدعة ليطلب المتاعب و(المناكفات) فاشتاق الرجل إلى زوجته الأولى وإلى مشاغباتها اللذيذة المتعة ، حتى قيض له ما أراد ، واستيقظ من النوم ليجد زوجته الأرضية عائدة من السينما . . .

ذكرت تلك المسرحية المتعة وحوادثها الشائقة ، وأنا في هذا المصيف الهادئ النائي الذي يكاد يشبه الريف في الخلو من الحوريات .. والذي لجأت إليه من نحو شهر هربا من متاعب القاهرة وحرها وزحامها وخلوها من البطيخ (الشليون بلاك) وقد أخذت هذا المصيف القطري لأكون بعيدا عن زعمة المدن ومثيرات الأعصاب فيها ، وآثرت أن أخلد إلى السكون والراحة التامة ، ورجوت صديق الشاعر ، وهو يصطاف قريبا مني أن يجنبني سماع ما يقرض .

وتم لي ذلك وشملني السكون وتلقاني البحر ، يدعوني إليه أحيانا فيبل ما جف من أعصابي ، ثم لا يلبث أن يضجر مني فيقذفني إلى رمال الشاطىء فأرتمي عليها وأشكو إليها ضعفي وجراح نفسي . . .

ثم وجدتني أهرع إلى صديقي الشاعر لأسمع منه ، وآخذ مع الرفاق في حديث الأدب والفن ؛ بل أجرهم إليه وأحملهم عليه

وأنظر حولي فلا أبصر إلا الماء والرمل والسماء ، واشوقا إلى القاهرة والى الاضطراب في أنحائها والاختلاف الى ما جريت على الاختلاف اليه فيها ، بل إلى صخبها وضجيجها وزحامها

كان البحر يقول لى : هنا الروح والدعة ، فتعالى إلى ودع الدنيا وألق مشاغلها على الشاطىء واغسل همومك بين أحضانى

ثم صوت أسمع من أمواجه الصاخبة المتحاربة دائما : أن هلم إلى معترك الحياة وعد إلى معامعها ، فالسكون موت والحركة حياة

وما أزال مصغيا إليه ، أستمع ولا أقتنع ، انتظاراً للعاقبة التى أقتدر بها على تمام الاقتناع .

ابن حمديس

تلقيت من الصديق الكريم الذى لم أتشرف بلقائه بعد ، الأستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصرى ، رسالة مطولة ناقش فيها رأياً للاستاذ عباس محمود العقاد فى « ابن حمديس » الشاعر الصقلى ، والرسالة هى كما يلى بعد شىء من الاختصار وحذف التحيات التى يستحق الأخ أحسن منها :

أنا لا أنكر أن الأستاذ العقاد ذهن جبار متوقد ، بل هو أكثر أدباء الشرق ثقافة ، فهو أديب وشاعر وخطيب وسياسى وناقد ومترجم ، وإن كان شعره لا يبلغ منزلة نثره ، ولكنى قرأت له قبل أيام رأيا استغربت أن يصدر من رجل مثله له مكانته فى عالم النقد ، وهذا الرأى منشور فى الصفحة (٩٣) من كتابه « خلاصة اليومية » ولم أكن قد اطلعت عليه قبل الآن ، يقول عن ابن حمديس : شاعر صدت عنه الشهرة بعد أن أقبلت عليه ، وطواه الخمول بعد أن طبق ذكره الآفاق ، ولكن هذا الشاعر المجهول قد زاد بديوانه على ثروة اللغة العربية ذخيرة أضاعها التفريط ؛ وأودع من المعانى مالم يضمنها إياها شاعر عربى آخر . ولقد كان ينبغى أن لانذكر المتنبى وابن أبى حفصة وابن هانىء وغير هؤلاء من محترق الشعر ـ كان ينبغى أن لانذكرهم مرة إلا ذكرنا ابن حمديس مرارا ؛ هذا الذى لايذكره قراء العربية إلا كما يذكرون شعراء الغرب والصين ، ولولا (ابن) قبل حمديس لما درى أكثرنا إن كان اسم رجل أو اسم مكان؟ ثم يسترسل العقاد حتى يقول :

وما ألطف قوله

تطيب أفواههن الحديث ... بحمر الشفاه وبيض الثغور
كما مر بالورد والأقحوان ... نسيم مشوب بريا العبير

ألا يترشف من بيتيه هذين رضاب الحسان ، وتتنسم ريح الورد والأقحوان ؟

وما أغزر دموع هذين البيتين :

ويا ريح إما مررت الحيا ... ورويت منه الربوع الظماء
فسوقى إلى جهام السحاب ... لأملأهن من الدمع ماء

وهل قال « شلى » فى قصيدته « القنبرة » أحدث من هذا

أصبا هبت بريحان الصبا ... أو شمال أسكرتنى بالشمول
حيث غنتنى شوادى روضة ... مطربات بخفيف وثقيل
فى أعاريض قصار خفيت ... دقة فى الوزن عن فهم الخليل
ولحون حار فيها معبد ... وله علم بموسيقى الهديل
والدجى يرنو إلى صاحيه ... بعيون من نجوم الجو حول

وأين بيتا صبرى وشوقى فى تنزيه صاحبتيهما عن هذا البيت :

لا تنكرى أنك حورية ... روائح الجنة نمت عليك

وإلى هنا يختتم الأستاذ العقاد كلمته عن هذا الشاعر ، ونراه يوازن بين ابن حمديس وباقى الشعراء فيجعله فى مصاف المتنبى والبحترى وابن هانىء ! فى أى ميزان من موازين النقد يوضع ابن حمديس مع المتنبى والبحترى ؟ ويقول العقاد إن ابن حمديس أودع اللغة العربية من المعانى ما لم يضمنها إياها شاعر آخر ! إذن أين مكان ابن الرومى وأبى تمام وأبى نواس وبشار بن برد وابن المعتز ؟ وما هى الثروة التى أضافها ابن حمديس وشعره لا يتعدى التقليد لشعراء بنى العباس وبنى أمية ؟ وكيف يتهم الأستاذ العقاد أدباء العربية بجهل ابن حمديس ؟ !

أما قوله عن بيتى ابن حمديس « تطيب أفواههن ... الخ » فأحيله إلى الأستاذ العقاد وأقول له إننى لم أترشف منه رضاب الحسان ، ولا أتنسم ريح الورد ، وعندى أن أبيات بشار فى

وصف أحاديث الحسان خير بكثير من هذين البيتين ، وكذلك أبيات ابن الرومي وبعض ما قال عمر بن أبي ربيعة ، ولا شك أن الأستاذ العقاد مطلع أكثر من غيره على كل ما ذكرت

والعقاد بعد هذا أكثر أدباء العرب فهما للأدب الإنجليزي فكيف يقول إن أبيات ابن حديس اللامية خير من قصيدة « شلي » في وصف القبرة ؟ وهذه القصيدة لا تعد فذة في الأدب الإنجليزي فقط بل في الأدب العالمي القنائي ، ومن شاء فليرجع إلى نصها الإنجليزي أو ليقرأها مترجمة إلى العربية ، وخير ترجمة لها ترجمة المرحوم علي محمود طه وهي منشورة بكاملها في كتابه « أرواح شاردة » فهل توافقني أيها الصديق على أن قصيدة ابن حديس التي ذكرها العقاد لا تقاس بقبرة شلي إلا كما يقاس الصدف بالدر ؟

ويقارن الأستاذ العقاد بيت ابن حديس :

لا تنكري أنك حورية روائح الجنة نمت عليك

ببيتي صبري وشوقي ، ويقصد بيت صبري (إسماعيل صبري باشا) :

أنت روحانية لا تدعي أن هذا الحسن من طين وماء

وبيت شوقي :

صوني جمالك عنا إننا بشر من التراب وهذا الحسن روحاني

أما أنا فأقول إن بيت شوقي أحسن الأبيات وأحفلها وأقواها ديباجة وأملؤها للنفس . ولولا « روائح الجنة » التي اقتبسها من أبي العتاهية لما بقي للبيت أي جمال . وأترك لك يا صاحب الأدب والفن في أسبوع المقارنة بين الأبيات الثلاثة

فهذا الشاعر الذي أعجب به العقاد لو درسه الأدباء دراسة استقصاء وبحث لعلموا أن الأستاذ العقاد لم ينصف المتنبي وابن هانئ عند ما قرنه بهما . هذا هو رأيي . وأقول أكثر من ذلك إنه لولا بعض القطع التي تحفل بالصور الشعرية في شعر ابن حديس لما استحق الذكر ، فهل أقرأ رأيك في هذا الذي ذكره الأستاذ العقاد قريبا ؟ ودم لأخيك :

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

أجل يا صديقي . سأدلي بما أراه ، لا فيما قال به أديبنا الكبير فحسب ، بل كذلك فيما ارتأيته أنت ، وسأخالفك في بعضه ، وقد خالفتك من قبل في بيت للدكتور إبراهيم ناجي ، وأكبر الظن أنك أوسعت صدرك لتلك المخالفة ، وأكبر الظن أيضا — كما يعبر عميدنا الدكتور طه حسين باشا — أنك موسع صدرك للمرة الثانية في هذه المخالفة الجديدة

أصدر العقاد كتاب « خلاصة اليومية » من نحو ثلاثين سنة ، ولعله أول كتاب ظهر له . وقد درس بعد ذلك ابن الرومي وابن أبي ربيعة وابن برد وغيرهم من شعراء العربية دراسة دقيقة مستقصية ، ولا بد أن قد تبين له من تلك الدراسات أن ما أودعه ابن حديس اللغة العربية من المعاني لا يعد شيئا بجانب ما ضمنه إياها شاعر كابن الرومي مثلا

وقد كان ابن حديس مجهولا حقا في ذلك الوقت ، وقد التفت إليه الأدباء بعد ذلك ، وإن كانت هذه التفاتات يسيرة ، وأذكر أننا سمعنا محاضرة قيمة عن هذا الشاعر الرقيق من الأستاذ السباعي بيومي بك ، ألقاها سنة ١٩٤٣ في ناد بالخرطوم ، وكنت هناك في ذلك الوقت

وديوان ابن حديس غير متداول في مصر ، ولم أر له غير نسخة واحدة بدار الكتب المصرية ، طبعها ونشرها أحد المستشرقين . ولابن حديس بيت سائر معجب هو :

أراه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

وهذا يدل على أن الشاعر أصبح معروفا ، وإن لم ينل بعد حقه من التعريف به ودراسته ونشر شعره

وأنا أوافقك يا صديقي على أن ابن حديس لا يبلغ شأو من ذكرت من الشعراء ، هذا ابن هانئ الأندلسي على رغم ما يقولونه من أنه « متنبي الغرب » ولا أتحرج من المصارحة بأني لا أجد مصداق كل ما يقولون في شعراء الغرب العربي وفي أشعارهم . ولا أرى العربية ظفرت في عصورها المختلفة بأمتع وأبدع من شعر شعراء بغداد في عهد بني العباس ، وليقل من

بشاء فى جمال الطبيعة وتأثير البيئة الطبيعية ما يقول

ولكنى مع ذلك لا أرى ابن حمديس فى المكان الذى نزلت به إليه ، وأراك قد حملت على أبياته حملة غير منصفة . وقد قرأت وصف بشار وابن الرومى لأحاديث الحسان فى أبيات جميلة لست أذكر نصها ، وليس لدى من الكتب فى مصيفى النائى ما أرجع إليه من أجلها ، ولكن هذا لا ينقص من جمال بيتى ابن حمديس . أما ابن أبى ربيعة فلست أعلم عنه إلا حكايته لأحاديث النساء ، وهى شئ آخر غير وصف أحاديثهن . ويشبه معنى ابن حمديس بيت للمرحوم مصطفى صادق الرافعى هو :

إذا سألوها لجلجت فكأنما
غرا اللفظ — لما مر من فمها — سكر

وتصوير الرافعى للفظ المترنح بديع

ولست أدرى يا أخى لماذا لا يعجبك قول ابن حمديس :

لا تنكرى أنك حورية روائح الجنة تحت عليك

وكيف تفضل عليه بيت شوقى ؟ حقا إن بيت أمير الشعراء أقوى ديباجة ، ولكن انظر إليه وهو يأمرها أن تبتعد عنه وهو أمر لا يستساغ مهما كانت الأسباب . وخاطر شوقى ذهنى جاف لا يندى به ماء الشعور . أما « روائح الجنة » فهى تدل على ما وراءها من حس مرهف . وإنك لتظلم الشاعر إذ تسلبه فضل هذا التعبير لأن أبا العتاهية سبقه إلى الكلمة فى قوله :

إن الشباب حجة التصابى
روائح الجنة فى الشباب

فإن استعمال كل منهما « روائح الجنة » غير استعمال الآخر وليس هناك أية صلة بين المعنيين .

والحمد لله على أن أهملت بيت صبرى فى المقارنة بين الأبيات الثلاثة .. وإنى لعلى يقين أن التى يصفها لم تدع أن حسنها من ماء وطين .. حتى يقف منها موقف المفند لدعواها !

وقد استحسن مؤلف « خلاصة اليومية » مخاطبة ابن حمديس للريح لتسوق إليه السحب الخالية من المطر ليملأها من دمعه لأنها تدل على غزارة دمعه . وهى مبالغة ليس وراءها شىء إلا إذا كانت الدمعة بالكمية !

أما المقارنة بين أبيات ابن حمديس اللامية وبين قصيدة شلى فى القبرة . فليس لدى الآن فى المصيف ما أرجع إليه من أجل هذه القصيدة ، وقد أجد فى أمرها ما يدعو إلى تناولها بعد العودة إلى القاهرة إن شاء الله .

مصيف بلطيم عباس خضر

وزارة المعارف

تقبل عطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة المدير العام للصحة المدرسية بشارع عبد العزيز لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم ٧ — ٩ — ١٩٥١ عن توريد أدوية أسماف ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ ١٥٠ مليما خلاف أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة فئة الثلاثون مليما . ٩٠٠٤

وزارة الحربية والبحرية

تقبل عطاءات بديوان الوزارة لغاية ظهر يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩٥١ عن توريد مواد أدوات وملبوسات ومهمات ألعاب رياضية لازمة للجيش عام ٥١ — ٥٢ ، وتطلب شروط المناقصة على ورقة دمغة فئة ٣٠ مليما من إدارة العقود والمشتريات مقابل ٢٥٠ مليم وأجرة البريد ٤٠ مليما . ٩٠١٥